

عنوان الكتاب : روح الاجتماع

المؤلف : جوستاف لوبون

سنة النشر : ١٩٠٩

رقم العهدة : ٢٦٠٣٧

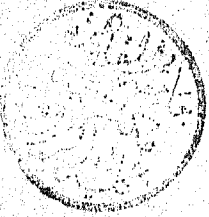
الـ ACC : ٨٥٠٢

عدد الصفحات : ١٤٤

رقم الفيـم : ٤

٢٠١

رُوحُ الْأَجْتِمَاعِ



تأليف

الدكتور هوستاف لوبون

ترجمته من اللغة الفرنسية
١٦٤١ / ٢٦٠٢٧

«المرحوم»

A.C / ٨٥٠٠٠

محمد زغلول باشا

A.C / ٨٥٠٠٠

(الطبعة الثانية) - ١٠٥ / ٢٠١

- ٨ / ٢٦٠٢٧

«عني بتصحيحه ونشره»

توفيق الرافي

٨

(بإذن من حضرة صاحب المعالي نصير الأمة والوطن)

«سعد زغلول باشا»

المطبعة الرحمانية

بالخرفش بمصر رقم ٣٥

١٩٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وصحبه وآله
قرأت مؤلفاً جديداً للعالم الفرنسي المعروف الدكتور جوستاف لوبون
صاحب كتاب (تمدن العرب) وضعه في بيان أحوال الجماعات وما يعرض للفرق
مجتمعا من تغير المشاعر واختلاف النظر وتبدل حكمه فيما يجيظ به وسماه (روح
الاجتماع) ورأيت في نقله الى العربية فائدة لأهلها فاستأذنت المؤلف في ذلك
فتفضل بالأجزة

طلب مني أن أضع مقدمة تشرح بعض الشرح موضوع الكتاب وتبين طرفاً
مما اشتمل عليه فترددت كثيراً ثم رأيت أن أترك الشرح والبيان للقراء أنفسهم
وإذا كنت نقلت الكتاب الى العربية نقلاً صادقاً صحيحاً فإن معانيه تنساب في
نفس قارئيه من دون احتياج الى شرح ولا رجوع الى بيان

أحمد فتحي

زغلول

القاهرة في أكتوبر سنة ١٩٠٩

« كلمة للناشر »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
وبعد فهذا كتاب « روح الاجتماع » الذي وضعه العلامة نادرة الفلاسفة
الدكتور جوستاف لوبون وقد هداه اليه بحبه الطويل في تكوين الشعوب والأمم
وتطورها وأوضاع تواريتها وتقلب حواذئها واختلاف مدنياتها واعتباره كل ذلك
بالفكر النقاد والبحث الفلسفي العميق الذي امتاز به ذلك الفيلسوف العظيم
وقد كان من حظ اللغة العربية أن الذي نقل هذا الكتاب الممتع اليها هو
الاستاذ العلامة المرحوم أحمد فتحي باشا زغلول وهو لا يقل عن المؤلف نفسه
ذكاء ودقة واستنباطاً بحيث أخرج الكتاب إلى هذه اللغة وكأنه في مطابقتها
للأصل خارج من قلم المؤلف لا من قامه

وقد تفضل حضرة صاحب المعالي سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصري
فأذن لنا في إعادة طبع هذا الكتاب ونشره خدمة للإمام فكان ذلك فضلاً جديداً
لمعاليه علينا وعلى الناس نسأل الله تعالى أن يوفقه إلى صالح الأعمال والسلام
أغسطس سنة ١٩٢١
توفيق الراجحي

مقدمة المؤلف

خصصنا كتابنا السابق للكلام على الحالة النفسية للشعوب والآكن نبحت في
الحالة النفسية للجماعات

تتكون روح كل شعب من مجموع صفات وخلال تتولد في أفرادها بالتوارث
لكن إذا اجتمع عدد من أولئك الأفراد للقيام بعمل من الأعمال تولدت عن
اجتماعهم هذا أحوال نفسية جديدة تتركز على أحوال الشعب وقد تختلف عنها
في كثير من الأوقات اختلافاً كبيراً

كان للجماعات المنظمة على الدوام تأثير كبير في حياة الأمم إلا إن هذا التأثير
لم يبلغ في زمن من الأزمان مبلغه في الزمن الحاضر فقد حل في أيامنا هذه تأثير
الجماعات على غير قصد منها محل تأثير الأفراد المقصود لاربابه بالظبيعة وأصبح من
أخص صفات الحياة الحاضرة

وإني أحاول البحث في موضوع الجماعات على صعوبته بانوسائل المعاصرة المحضنة
أعني اني أريد أن أتبع فيه نسقاً مؤسساً على قواعد العلم غير ملتفت إلى الآراء
والنظريات والمذاهب الجارية مجرى الأمور المسلم بها لأنني أرى أن ذلك هو
الوسيلة الوحيدة لاقتناص بعض شوارد الحقيقة

ولا سيما إذا كان الموضوع مما يشغل الافكار مثل موضوعنا فالعالم الذي يرمي
ببحثه إلى تقرير أمر من الأمور لا يهتم بما عسى أن يصطدم مع هذا التقرير من
المنافع والمصالح - قال عني أحد كبار المفكرين وهو موسيو (جويليه دالفيالا)
في كتاب نشرناه حديثاً إني كثيراً ما خالفت في نتائج أبحاثي ما اتفق عليه الباحثون
من أرباب المذاهب العصرية لأنني لست تابعاً لواحد منها وإني لأرجو أن يكون
حظ كتابي هذا من تلك الملاحظة حظ سابقة إذ الانضمام إلى مذهب يقتضى
التجيز إليه والتزام ما فيه من الأوهام

اهداء الكتاب من المؤلف

إلى تيوفيل ريبو مدير المجلة الفلسفية وأستاذ علم النفس في المدرسة
الفرنساوية

علامة مودة

جوستاف لوبون

على إني أرى من الواجب أن أوضح للقراء السبب في انني أستخلص من بحثي نتائج تخالف التي يظهر بادىء بدء أنها نتاجه اللازمة كتقريرى مثلا انحطاط القوة المفكرة عند الجماعات حتى تتألف من نوابغ أهل الفضل وذهابي مع ذلك الى أنه من الخطر المساس بها أو العبت بنظامها ذلك لأن اطالة التأمل في حوادث التاريخ دلتي دائماً ان المجتمعات الانسانية عويصة التركيب كالأفراد سواء بسواء فليس في يدنا أن نحو لها نجاة من حال الى حال نعم يتفق أن تحدث الطبيعة تغييراً كلياً فجائياً إلا ان ذلك لا يكون تابعا لارادتنا أبداً لذلك كان حب بعضهم للاصلاحات السلبية من أسوأ المؤثرات في الأمم مها دلّ النظر على حسنها لأنها لا تكون مفيدة إلا اذا كان في الامكان تغيير روح الأمة تغييراً جذائياً والزمان وحده هو صاحب هذا السلطان والذي يحكم الناس مجتمعين إنما هي الأفكار والمشاعر والعادات وكلها أمور موجودة فينا وحينئذ ليست القوانين والنظامات إلا صورة من صور النفس العامة التي لنا وممثلة حاجاتها واذا كانت القوانين والنظامات صادرة عن النفس فهي لن تستطيع تغييرها

واعلم أنه لا يجوز فصل البحث في الأحوال الاجتماعية عن البحث في الأمم التي ظهرت تلك الأحوال فيها لأنه ان صح نظراً ان لهذه الأحوال قيمة مطلقة فمن الحق ان قيمتها عملا نسبية دائماً

لذلك ينبغي عند البحث في حال من أحوال الاجتماع أن ينظر اليها من جهتين مختلفتين تماماً وحينئذ ينبغي للباحث ان تعاليم النظر المحض تخالف غالباً تعاليم النظر العملي وليس من النتائج حتى نتائج الابحاث الطبيعية ما يشذ عن هذه القاعدة إلا يسيراً انظر الى مكعب أو دائرة تجدها من حيث الحقيقة المطلقة صوراً حسابية ثابتة لها صيغ تضبطها ضبطاً دقيقاً . لكنها قد تحضر امام العين بصور مختلفة فقد ترى المكعب هرماً أو مربعاً وقد ترى الدائرة قطعاً ناقصاً أو خطاً مستقيماً ويجب الاهتمام بهذه الصور الصورية أكثر من الاهتمام بتلك الصور الحقيقية لانها هي التي تتراءى أمامنا وهي التي يمكن للرسم أو لآلة التصوير أن تنقلها لنا ومن هنا جاز القول بأن الصوري حقيقي أكثر من الحقيقي في بعض الأحوال لان تشخيص

الاشكال الهندسية بصورها الحسابية المنضبطة عبارة عن تشويه طبيعتها وجعلها تخفى على الناظرين فلو فرضنا عمالماً لا يسعهم الا رسم الأشياء أو نقلها بالآلة التصوير من دون أن يتمكنوا من لمسها لتعسر عليهم استحضار صورتها الحقيقية في أذهانهم على أن معرفة تلك الصورة الحقيقية من العدد القليل أعنى العلماء لا يفيد إلا فائدة صغيرة جداً إذن وجب على الحكيم الذي يبحث في الأحوال الاجتماعية أن لا يغفل عما لهذه الأحوال من القيمة العملية بجانب قيمتها العلمية وان الاولى هي التي لها شيء من الاهمية في تطور المدييات وملاحظة ذلك تقتضى الحيطه والحذر من الوقوف عند ما قد يدوق اليه الاستنتاج المنطقي بادىء بدء

وهناك أسباب أخرى تدعو الى هذا الحذر منها أن الأحوال الاجتماعية عويصة مشتبكة يتعذر على الباحث أن يحيط بها كلها وأن يتعرف ما لها من التأثير وما بينها من التفاعل ومنها أن وراء الحوادث الظاهرة مؤثرات خافية كثيرة جداً اذ يظهر ان الاولى ليست الا نتيجة عمل عظيم يقع على غير علم منا وهو في الغالب فوق بحثنا فمثل الحوادث الظاهرة مثل الامواج المتلاطمة التي تترجم فوق سطح البحر عما هو واقع في جوفه من الاضطرابات التي خفيت عنا ونحن اذا نظرنا الى الجماعات نراها تأتي من الاعمال بما يدل على انحطاط مداركها انحطاطاً كلياً غير أن لها أعمالاً أخرى يظهر انها منقادة فيها بقوة خفية سماها الاقدمون قدراً أو طبيعة أو يداً صمدانية وسماها أهل هذا الزمان (صوت من في القبور) وعلى كل حال لا يسعنا أن ننكر ما لها من القوة وان جهلنا كنهها وكثيراً ما يظهر ان في باطن الأمم قوى كامنة ترشدها وتهدئها انك لا تجد شيئاً أكثر تعقيداً ولا أدق ترتيباً وأجل خلقاً من اللغة وما مصدر هذا الشيء الغريب في نظامه العجيب في أسلوبه إلا روح الجماعات تلك الروح الاشاعرة وأعلم الجامع العلمية وأرقى النحويين انما يجهدون النفس في تدوين قواعد اللغات وهم لاشك عاجزون عن خلقها كذلك لسنا على يقين من أن الافكار السامية التي يحدتها النابغون من فطاحل القوم انما هي عملهم خاصة نعم هم الذين أوجدوها . ولكن لا ينبغي أن ننسى أن ذرات التراب التي تراكت فصارت منبتاً لتلك الافكار انما كونها روح الجماعات التي وجد أولئك النابغون فيها

تنجرد الجماعات دائماً عن الشعور بعملها وقد يكون هذا هو السر في قوتها على أن نشاهد في الطبيعة أن الذوات الخاضعة لمجرد الاطعام تأتي بأعمال دقيقة يحار الانسان في معرفة جليل صنعها ذلك أن العقل جديد في الوجود الانساني وفيه نقص كبير فلا قدرة لنا به على معرفة قوانين الافعال اللاشعورية فما بالك ان حاولنا وضع غيرها في مكانها أن نصيب اللاشعور في جميع أعمال الانسان عظيم وافر ونصيب العقل فيها صغير للغاية والاول يعمل ويؤثر كقوة لا تزال معرفتها غائبة عنا وعليه اذا أردنا أن نقف عند الحدود الضيقة المأمونة في معرفة الاشياء من طريق العقل ولا نهيم في أودية التخمينات المهمة والفرضيات العقيمة لزمنا ان نقتصر على تقرير الحوادث التي تقع تحت حواسنا وكل استنتاج مبني على هذه المشاهدات بعد ذلك يكون تسرعاً في غالب الاحيان لانه يوجد خلف الحوادث التي نراها جيداً حوادث لا نراها الا رؤياً ناقصة وقد يكون وراء هذه غيرها مما لا نراه أصلاً

تهديد

﴿ زمن الجموع ﴾

تطور أهل الوقت الحالي - في ان تغييرات المدنية العظيمة نتيجة أفكار الامم - اعتقاد أهل هذا العصر بقوة الجماعات - في ان هذا الاعتقاد يحول الدول عن سياستها التقليدية - كيف تسود سلطة طبقات الامة وكيف تجري تلك السلطة - النتيجة اللازمة لسلطة الجماعات - في أن الجماعات لا تستطيع الا الهدم - في انها هي التي تجهز على المدنية التي وهن بناؤها في الجهل العام بأحوال الجماعات النفسية - أهمية الوقوف على تلك الاحوال عند الشارع والمسياسي

يخال الناظر في أحوال هذا الكون أن الانقلابات العظيمة التي تتقدم تطور المدنية في الامم مثل سقوط الدولة الرومانية وقيام الدولة العربية ناشئة عن تطور سياسي عظيم كغارة الامم بعضها على بعض أو سقوط الاسر الحاكمة وهكذا الكون بعد انعام النظر في هذه الحوادث يتبين أن وراء أسبابها الظاهرة في الغالب سبباً حقيقياً هو التغير الكلي في أفكار تلك الامم فليست التقلبات السياسية الحقيقية الكبرى هي التي تدهش الباحثين بعظمها وعنقها وانما الانقلاب الصحيح الجدير بالاعتبار الذي يؤدي الى تغيير حال الامم المدنية يحصل في الافكار والتصورات والمعتقدات والحوادث العظيمة الخالدة في بطون التواريخ ليست آثاراً ظاهرة لتغير خفي في أفكار الناس واذا كانت تلك الانقلابات العظيمة نادرة الحدوث فذلك راجع الى أن أشد أخلاق الامم رسوخاً عندها هو التراث الفكري الذي ورثته عن آباؤها

وأخرج الأزمان في تطور الفكر الانساني زماننا هذا ولهذا التطور عاملان أصليان الاول تهدم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تتكون منها عناصر المدنية الحاضرة

والثاني قيام أحوال جديدة ونشوء أفكار جديدة في الحياة تولدت كلها من الاكتشافات العصرية العلمية والصناعية ولما كان تهدم الافكار القديمة لم يتم فلم نزل قوتها وكانت الافكار التي ستحل

عملها في دور تكوينها كان الزمن الحاضر زمن تحول وفوضى
ومن المتعسر أن نتكهن بما قد يتولد يوماً من الأيام من هذا الوقت المشوش كما
أنا لا نعرف حتى الآن على أي الأفكار السياسية والمبادئ الأولية يقوم بناء
الأمم التي نختلفنا ولكن الذي نراه منذ الساعة أنه سيكون أمام تلك الأمم قوة عظيمة
لا بد لها من الاعتداد بها لأنها أكبر قوة وجدت أريد بها قوة الجماعات تلك
القوة التي قامت حتى الآن وحدها على أطلال الأفكار البالية التي كان الناس
يعتقدونها حقائق وماتت وعاشت بعد ان حطمت الثورات المختلفة كل سلطة كانت
تتحكم في الناس وهي القوة التي يظهر لنا أن مصيرها ابتلاع ما عداها في القريب
الماجل ألا ترى أن معتقداتنا القديمة أخذت تهتز من وهن أساسها وان أساطين
المجتمعات القديمة تتدعى وتنحطم وان سلطة الجماعات هي وحدها التي لا يهددها
طارىء بل هي تعظم وتنمو وعليه فالدور الذي نحن قادمون عليه هو دور
الجماعات لا محالة

كان المؤثر في الحوادث التاريخية منذ قرن واحد هو السياسة التقليدية
للدول ومنازعات ملوكها ولم يكن لرأي الجموع وزن يذكر بل لم يكن له قيمة
أصلاً في الغالب — أما الآن فالسياسة التقليدية هي التي أصبحت لا وزن لها
ولا أثر للمنازعات الشخصية بين الملوك بل صارت الغلبة لصوت الجماعات فهو
الذي يرسم للملوك خططهم وهو الذي يجتهد الملوك في الاصغاء اليه وأمسى مصير
الأمم راجعاً إلى ما تحمله روح تلك الجماعات لا إلى ما يراه أصحاب مشورة الأمراء
فجوس طبقات الأمم على عرش السياسة أعنى تطور تلك الطبقات حتى
صارت قادة لدولها هو من أخص مميزات زمن التحول الذي نحن فيه وليس حق
الانتخاب العام هو الدليل الصحيح على هذا التطور لان هذا الحق بقي ضعيف الأثر
زمناً طويلاً وكان في مبدئ أمره سهل القيادة وإنما تولدت سلطة الجماعات رويداً
رويداً بانتشار بعض الأفكار التي رسيخت في الأذهان أولاً وبتدرج الافراد في
تكوين الجماعات للوصول إلى تحقيق تلك النظريات ثانياً فالاجتماع هو الذي
ولد في الجماعات قوة ادراك منافعها ومع كونه ليس ادراكاً تاماً فهو ثابت متين
والاجتماع هو الذي جعلها تشعر بما لها من القوة والسلطان وهذا أصل تأسيس
الجمعيات (السنديكات) التي تخضع أمامها السلطات واحدة بعد الأخرى وغرف

التجارة (البورصات) التي تطمح إلى السيطرة على العمل وأجور العمال وان خالفت
في حكمها قواعد الاقتصاد وأصول تدبير الثروة العامة

والجماعات هي التي تبعت اليوم إلى المجالس النيابية لدى الحكومة بوكلاء
تجردهم من كل حركة شخصية وكل استقلال فلا يكون لهم من الرأي إلا ما رآته
الجان التي انتخبتهن

أخذت طلبات الجماعات الآن تترقى في مراتب الوضوح وهي لا ترمي إلى
أقل من قلب الهيئة الاجتماعية الحاضرة رأساً على عقب لترجع بها إلى حالة الاشتراك
الأولى التي كانت عليها العشرات قبل بزوغ شمس المدنية — تطلب الجماعات تحديد
ساعات العمل ونزع ملكية المعادن والسكك الحديدية والمعامل والمصانع والاطيان
وتطلب توزيع الثمرات بين جميع الناس على السواء واحلال الطبقات الوضعية
محل الطبقات الرفيعة وغير ذلك

الجماعات أقدر على العمل منها على التفكير وقد أصبحت بنظامها الحاضر ذات
قوة كبرى وعمما قريب يكون للمذاهب التي نراها اليوم في دور التكون من السلطان
العظيم على الأفكار ما للمذاهب التي رسيخت أصولها في الاعتقادات أعنى سلطاناً
مستبداً لا تأثير فوق تأثيره فلا تعود تحتل البحث أو الجدل وحينئذ يقوم
حق الجماعات المقدس مقام حق الملوك الأقدسين

ولقد استولى الهلع على قلوب الكتاب الذين لهم منزلة لدى الطبقات الوسطى
في الأمم وهم الذين يمثلون أكثر من غيرهم أفكارها الضيقة ونظرها القصير
ويأسها غير المبني على التأمل الصحيح وحب الذات البالغ غايته فحشوا عاقبة ذلك
السلطان الجديد الذي أخذ ينمو ويعظم ومالوا إلى مقاومة ما استحوذ على
الأفكار من الاضطراب فولوا وجوههم قبل الكنيسة مستصرخين بسلطانها
الأدبي وتأثيرها الروحي بعد أن بالغوا في احتقارها وغالوا في إهمال جانبها ونادوا
بافلاس العلم في طريق تهذيب النفوس فهم يرجعون من روما تائبين منيبين
يدعوننا إلى الرجوع للتمسك بحقائق الوحي والتنزيل وفات أولئك المتدينين من
جديد ان الوقت قد فات — واذا صحح أن الفيض الإلهي أخذ من نفوسهم
فانه لن ينال من نفوس جماعات لا تعتمد كثيراً بما يقلق ضمائر أولئك الزهاد فلم
تعد ترغب في الارباب التي رغبوها عنها بالامس وكان لهم نصيب في تحطيمها وليس

في طاقة البشر ولا مما تتخلق به القدرة لاهية جعل مياه الانهار تصب في بناييمها ما أفلس العلم ولا ذنب له في فوضى الافكار التي انتشرت في هذا الزمان ولا في سلطة الجماعات التي تنمو وسط تلك الفوضى انما العلم وعدنا كشف الحقيقة أو على الاقل بيان النسب التي يربط الامور بعضها ببعض مما تقدر على ادراكه لكنه ما وعدنا السلام ولا السعادة أبداً والعلم جاد بالنسبة لمشاعرنا وأصم لا يصل اليه صراخنا وانما نحن الذين يجب عليهم أن يحملوا أنفسهم على الاتفاق معه إذ لا شيء يقدر أن يعيد لنا تلك الاوهام التي فرّت امام نوره

توجد علامات عامة ظاهرة في جميع الأمم تدل على سرعة نمو سلطان الجماعات نمواً لارحاء في وقوفه آجلاً ونحن خاضعون لحكمه حاملون كل ما نتج بالتهر عنا فكل قول فيه باطل لا فائدة منه ومن الجائز أن تولى الجماعات قياد الأمم يكون خاتمة أدوار مدنية الغرب فيرجع إلى الانهاس في أودية الفوضى التي يخال أنه لا بد لكل أمة من اجتيازها قبل الوصول الى دور الحضارة والرقى ولكن أين السبيل الى منع ما هو كائن ينحصر الآن الواضح لعمل الجماعات حتى الآن في هدم صروح المدنية والتاريخ يدلنا على أنه كلما وهنت القوى الأدبية التي يقوم عليها بناء تقدم أمة من الأمم كانت خاتمة الانحلال على يد تلك الجماعات الوحشية اللاشعورية التي سميت بحق متبررة أما الذين أقاموا صروح المدنية وشيدوا أركان الحضارة فهم نفر امتازوا بسمو المدارك وبعد النظر ولكنهم لم يراعوا حتى الآن للجماعات أثرها مثل هذا فهي انما تقدر على الهدم والتعظيم وزمان حكمها زمان بربرية على الدوام لان المدنية لا تقوم إلا على مبادئ مقررة ونظام ثابت وانتقال من العمل بمقتضى العريضة الى الاهتمام بنور العقل والبصر بالمستقبل ومرتبنة راقية من العلم والتهديب وتلك وسائل برهنت الجماعات على أنها غير أهل لتحقيقها اذا تركت وشأنها — ومثل الجماعات في قوتها الهادمة مثل المكروبات التي تعجل بالتحلل الاجسام الضعيفة وتساعد على تحلل الاجساد الميتة فاذا انحزرت عظام مدينة تولت الجماعات تقض بنايتها هنالك يظهر شأنها الأول ويخيل لنا بادىء بدء أن العامل في حوادث التاريخ هو كثرة العدد

إنا لنخشى أن يكون هذا أيضاً مصير مدنيتنا لكن ذلك الذي لا نعرف منه شيئاً حتى الآن وكيفما كان الحال فلا مندوحة لنا عن الخضوع لحكم الجماعات لأن أيدياً طائشة

أزالت بالتدريج جميع الحواجز التي كانت تمنع من طفياها كثر الكلام على الجماعات ونحن لا نعرف من حالها الا يسيراً لأن المشتغلين بعلوم النفس عاشوا بمعزل عنها فجهلوا أمرها على الدوام وإنما اشتغلوا بها في الأيام الأخيرة من جهة ما قد ترتكب من الجرائم والآثام نعم توجد جماعات شريرة إلا أن هناك أيضاً جماعات فاضلة وجماعات ذات شجاعة وهكذا فالنظر اليها من حيث الشر وحده نظر للشيء من جهة واحدة ولا يتصل الباحث لمعرفة إدراك الجماعات ببخته في الجرائم التي قد تصدر عنها كما انه لا يتوصل الى معرفة ادراك الفرد بالبحث في عيوبه خاصة

ومع ذلك فإن الذين سادوا على العالم وساسوا الأمم والممالك ممن شرعوا الاديان وأسسوا الدول ورسل المذاهب كلها وأقطاب السياسة حتى رؤساء العشائر الصغيرة كانوا دائماً من علماء النفس وهم لا يشعرون فكانوا يعرفون روح الجماعات معرفة فطرية وكانت تلك المعرفة صادقة في أغلب الاحايين ومعرفتهم لذلك جيداً هي التي مكنتهم من السيادة عليها كان نابليون واسع الخبرة بأحوال الجماعات النفسية في البلاد التي انبسطت يده عليها ولكنه جهل غالباً روح الجماعات في شعوب آخر كذلك كان شأن أكبر مستشاريه فانهم أيضاً لم يفقهوا حقيقة حال الجماعات الاجنبية عن أممتهم فقد كتب له (تايلران) أن أسبانيا تلاقى جيوشه لقاء المنجدين فاما زحفت اليهم استقبلهم كما تستقبل الوحوش الكاسرة ولو أنه كان على شيء من العلم بما ورثت تلك الامة من الاميال لسهل عليه معرفة هذا الاستقبال . ذلك هو السبب في أن نابليون قام في بلاد الاسبان وفي بلاد روسيا على الاخص بحروب كانت عاقبتها التمجيل بسقوطه

معرفة روح الجماعات أصبحت اليوم آخر ملجأ يأوى اليه السياسي العظيم لا لاجل أن يحكمها فقد صار ذلك الآن صعباً كثيراً بل ليخفف عنه شدة تأثيرها واذا أردنا أن نعرف ضعف تأثير القوانين والنظامات في الجماعات فاما السبيل إلى ذلك تدقيق البحث لمعرفة روحها والوقوف على أحوالها النفسية وبذلك تفقه أيضاً أنه لا قدرة لها على تكوين رأى والتفكير في شيء خارج عن الدائرة التي رسمت لها وانها لا تقاد بقواعد العدل النظرية بل بالبحث عما من شأنه التأثير فيها واختلابها فلو أراد وازع فرض ضريبة جديدة وجب عليه أن لا يختار التي هي أقرب للعدل من حيث قواعد الاقتصاد في ذاتها فربما كان أبعدها عن العدل أكثرها قبولاً بالعدل